السلسلة السلفية للرسائل والكتب النجدية (٩)

توفيق الرحمن

في دروس القرآن

تأليف

الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن فيصل آل مبارك

(١٣١٣ - ١٣٦٦هـ)

رحمه الله

حققه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه

عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد

الجزء الرابع

من سورة الشورى إلى سورة الناس

دار العليان

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

الدرس السابع والتسعون بعد المائتين

﴿سورة النبأ﴾

مكية، وهي أربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾

يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ .

* * *

قوله عز وجل: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾.

قال الحسن: «لما بعث النبيّ ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم، فأنزل الله ﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾ يعني: الخبر العظيم»[1]. قال قتادة: وهو البعث بعد الموت. وقال ابن زيد في قوله ﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون﴾ قال: يوم القيامة؛ قال قالوا: هذا اليوم الذي تزعمون أنا نحيا فيه وآباؤنا؟ قال: فهم فيه مختلفون لا يؤمنون به، فقال الله ﴿بل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون﴾ يوم القيامة لا يؤمنون به. قال قتادة: فصار الناس فيه فريقين: مصدّق ومكذّب، فأما الموت فقد أقرّوا به لمعاينتهم إياه، واختلفوا في البعث بعد الموت.

﴿كلاّ سيعلمون ثم كلاّ سيعلمون﴾ قال البغوي[2]: ﴿كلاّ﴾ نفي، يقول: هم سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تكشف الأمور ﴿ثم كلاّ سيعلمون﴾ وعيد على أثر وعيد. وقال في جامع البيان ﴿كلاّ﴾ ردع عن هذا التساؤل والاختلاف ﴿سيعلمون ثم كلاّ سيعلمون﴾ تكرير للمبالغة و ﴿ثم﴾ للإشعار بأن الوعيد الثاني أشدّ.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ١) عن الحسن مرسلاً.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٠٥).

قال ابن كثير[١]: ثم شرع تبارك وتعالى يبيّن قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره فقال ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾: أي ممهّدة للخلائق ذلولاً لهم قارّة ساكنة ثابتة ﴿والجبال أوتاداً﴾: أي جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبّتها وقرّرها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها؛ ثم قال ﴿وخلقناكم أزواجاً﴾ يعني ذكراً وأنثى يتمتّع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل، كقوله تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾: أي قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعايش في عرض النهار ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾: أي يغشى الناس ظلامه وسواده: ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾: أي جعلناه مشرقاً نيّراً مضيئاً، ليتمكّن الناس من التصرّف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسّب.

وقوله تعالى: ﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً﴾ يعني السموات السبع في اتساعها وارتفاعها، وإحكامها وإتقانها، وتزينها بالكواكب الثوابت والسيارات، ولهذا قال تعالى ﴿وجعلنا سراجاً وهّاجاً﴾ يعني الشمس المنيرة على جميع العالم، التي يتوهّج ضوؤها لأهل الأرض كلّها.

وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من المعصرات﴾: أي السحاب، كما قال تعالى ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله﴾. وقوله جلّ وعلا ﴿ماء ثجّاجاً﴾ قال مجاهد: منصبّاً.

وقوله تعالى: ﴿لنخرج به حبّاً ونباتاً وجنّات ألفافاً﴾: أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيّب النافع المبارك حبّاً يدخر للأناسيّ والأنعام ﴿ونباتاً﴾: أي خضراً يؤكل

---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٦٢).

(٢) سورة الروم: الآية ٢١.

رطباً ﴿وجنّات﴾: أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوّعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعاً، ولهذا قال ﴿وجنّات ألفافاً﴾ قال ابن عباس وغيره ﴿ألفافاً﴾ مجتمعة، وهذه كقوله تعالى ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأُكُلِ إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.

عن قتادة قوله: ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتاً﴾ وهو يوم عظّمه الله يفصل الله فيه بين الأوّلين والآخرين بأعمالهم ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ قال مجاهد: زمراً زمراً ﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً﴾ قال ابن كثير[2]: أي طرقاً ومسالك لنزول الملائكة ﴿وسيّرت الجبال فكانت سراباً﴾: أي يخيّل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء. وكان الحسن إذا تلا هذه الآية ﴿إن جهنّم كانت مرصاداً﴾ قال: ألاَ إن على الباب الرصد، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجيء بجواز احتبس. وقال قتادة: يعلمنا أنه لا سبيل إلى الجنّة حتى يقطع النار. ﴿للطاغين مآباً﴾: أي نزلاً ومأوى ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ وهو مالا انقطاع له، كلّما مضى

(١) سورة الرعد: الآية ٤.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٦٣).

حقب جاء حقب بعده، وذكر لنا أن الحقب ثمانون سنة من سني الآخرة. وعن الربيع ﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلاَّ حميماً وغسّاقاً﴾ فاستثنى من الشراب الحميم، ومن البرد الغسّاق. وقال مجاهد: هو الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده. وعن أبـي سعيد الخدريّ عن النبـيّ ﷺ قال: «لو أنّ دلواً من غسّاق يهراق إلى الدنيا لأنتن أهل الدنيا»[1]. رواه ابن جرير.

وعن ابن عباس قوله ﴿جزاء وفاقاً﴾ يقول: وافق أعمالهم. قال قتادة وافق الجزاء أعمال القوم، أعمال السوء: ﴿إنّهم كانوا لا يرجون حساباً﴾ قال ابن زيد لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب. وقال قتادة: لا يخافون حساباً ﴿وكذّبوا بآياتنا كِذّاباً﴾ **قال البغوي**[2]: ﴿وكذّبوا بآياتنا﴾: أي بما جاء به الأنبياء ﴿كِذّاباً﴾ يعني تكذيباً. ﴿وكلّ شيء أحصيناه كتاباً﴾: أي وكلّ شيء من الأعمال بيّنّاه في اللوح المحفوظ. **وقال ابن كثير**[3]: أي وقد علمنا أعمال العباد وكتبناها عليهم، وسنجزيهم على ذلك إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ. وعن قتادة ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلاَّ عذاباً﴾ ذكر لنا أن عبد الله بن عمرو كان يقول: ما نزلت على أهل النار آية أشدّ منها ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلاَّ عذاباً﴾ فهم في مزيد من عذاب الله أبداً.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٨ و ٨٣)، والترمذي (ح/ ٢٥٨٤)، وابن جرير (٣٠/ ١٤)، والحاكم (٤/ ٦٠١ و ٦٠٢)، والبغوي (١٥/ ٢٤٥)، قال الترمذي: «هذا حديث نعرفه من حديث رشدين بن سعد، وفي رشدين مقال، وقد تكلم فيه قبل حفظه»، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبـي! قلت: هو من رواية أبـي السمح: دراج عن أبـي الهيثم، وقد حكم غير واحد من الحفاظ بضعف روايته عنه والله أعلم.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٠٨).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٦٤).

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

عن قتادة ﴿إن للمتّقين مفازاً﴾ إي واللهِ مفازاً من النار إلى الجنّة، ومن عذاب الله إلى رحمته ﴿حدائق وأعناباً وكواعب أتراباً﴾ يعني بذلك النساء أتراباً لسنّ واحدة. وقال ابن جريج: الكواعب النواهد. وقال ابن زيد: هي التي قد نهدت وكعب ثديها ﴿وكأساً دهاقاً﴾ قال: الدهاق المملوءة. وقال ابن عباس: الملأى المتتابعة. وعن قتادة ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذّاباً﴾ قال: باطلاً وإثماً ﴿جزاء من ربّك عطاء حساباً﴾: أي عطاء كثيراً، فجزاهم بالعمل اليسير الخير الجسيم الذي لا انقطاع له.

﴿ربّ السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً﴾: أي كلاماً. قال مقاتل: لا يقدر الخلق على أن يكلّموا الربّ إلاَّ بإذنه. ﴿يوم يقوم الروح﴾: أي جبريل عليه السلام ﴿والملائكة صفّاً لا يتكلّمون إلاَّ من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ قال ابن عباس يقول: إلاَّ من أذن له الربّ بشهادة أن لا إله إلاَّ الله، وهي منتهي الصواب. وعن مجاهد ﴿وقال صواباً﴾ قال: حقّاً في الدنيا وعمل به.

﴿ذلك اليوم الحقّ فمن شاء اتّخذ إلى ربّه مآباً﴾ **قال البغوي**[1] ﴿ذلك اليوم الحقّ﴾ الكائن الواقع، يعني يوم القيامة ﴿فمن شاء اتّخذ إلى ربّه مآباً﴾ مرجعاً وسبيلاً بطاعته: أي فمن شاء رجع إلى الله بطاعته. ﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾ يعني العذاب في الآخرة، وكلّ ما هو آت قريب ﴿يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه﴾:

(١) المصدر السابق (٤/ ٤٠٩).

أي كلّ امرىء يرى في ذلك اليوم ما قدّم من العمل مثبتاً في صحيفته ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ قال عبد الله بن عمرو: «إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدّ الأديم، وحشر الدوابّ والبهائم والوحوش، ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتصّ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء تنطحها، فإذا فرغ من القصاص قيل لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً»[1].

• • •

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/٢٦).

الدرس الثامن والتسعون بعد المائتين

﴿سورة النازعات﴾

مكية، وهي ست[1] وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ۝٢٦ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٣ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥ وَبُرِّزَتِ

---

(١) في (الأصل): «ستة»، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف، وهو الصواب.

﴿ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

* * *

قوله عز وجل: ﴿وَالنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾.

عن ابن مسعود ﴿والنازعات غرقاً﴾ قال: الملائكة. قال ابن عباس: تنزع الأنفس. **قال البغوي**[1]: يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم، كما يغرق النازع في القوس فيبلغ به غاية المدى. وقال سعيد بن جبير: نزعت أرواحهم ثم غرقت ثم قذف بها في النار. وعن ابن عباس ﴿والناشطات نشطاً﴾ قال: الملائكة حين تنشط نفسه. قال البغوي: هي الملائكة تنشط نفس المؤمن، أي: تحلّ حلاّ رفيقاً، فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير. وقال ابن القيّم: النازعات التي تنزع الأرواح من الأجساد، والنزع اجتذاب النفس بقوة؛ والناشطات التي تنشطها أي تخرجها بسرعة وخفّة؛ والنزع مشترك بين نفوس بني آدم، والإغراق يختصّ بالكافر.

وعن مجاهد ﴿والسابحات سبحاً﴾ قال: الملائكة ينزلون من السماء مسرعين. وعن مجاهد ﴿فالسابقات سبقاً﴾ قال: الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح ﴿فالمدبّرات أمراً﴾ قال ابن عباس: هم الملائكة وكّلوا بأمور عرّفهم الله عز وجل العمل بها. **قال البغوي**[2]: وجواب هذه الأقسام محذوف على تقدير: لتبعثنّ ولتحاسبنّ. وعن ابن عباس قوله ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ يقول:

---

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤١٠).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤١١).

النفخة الأولى، وقوله ﴿تتبعها الرادفة﴾ يقول: النفخة الثانية. قال الحسن: أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحي الموتى، ثم تلا ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلاَّ من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾[1]. وعن قتادة ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ يقول: خائفة، وجفت مما عاينت يومئذ ﴿أبصارها خاشعة﴾ يقول: ذليلة.

وقوله تعالى: ﴿يقولون أئنّا لمردودون في الحافرة أئذا كنّا عظاماً نخرة﴾ **قال البغوي**[2]: يقولون ــ يعني المنكرين للبعث، إذا قيل لهم: إنكم مبعوثون من بعد الموت ــ؟ ﴿أئنا لمردودون في الحافرة﴾؟ قال ابن عباس يقول: أئنّا لنحيا بعد موتتنا، ونبعث من مكاننا هذا؟ وقال قتادة أي مردودون خلقاً جديداً؟ وقال البغوي: ﴿أئنا لمردودون في الحافرة﴾: أي إلى أول الحال وابتداء الأمر، فنصير أحياء بعد الموت كما كنا؟ تقول العرب: رجع فلان في حافرته: أي رجع من حيث جاء، والحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء وأول الشيء. وعن ابن عباس ﴿أئذا كنّا عظاماً نخرة﴾ فالنخرة: الفانية البالية. وعن قتادة ﴿أئذا كنّا عظاماً﴾ تكذيباً بالبعث ناخرة بالية ﴿قالوا تلك إذا كرّة خاسرة﴾: أي رجعة خاسرة. قال ابن زيد: وأيّ كرّة أخسر منها؟ أُحْيُو ثم صاروا إلى النار فكانت كرّة سوء.

﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ قال: الزجرة النفخة في الصور ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ قال: ظهر الأرض فوق بطنها. قال قتادة: لما تباعد البعث في أعين القوم قال الله ﴿فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة﴾ يقول: فإذا هم على الأرض بعد ما كانوا في جوفها. قال البغوي: والعرب تسمي الفلاة ووجه الأرض: ساهرة، قال بعض أهل اللغة: تراهم سمّوها ساهرة لأن فيها نوم الحيوان وسهرها.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤١٢).

قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

قال ابن كثير[1] قوله تعالى ﴿هل أتاك حديث موسى﴾: أي هل سمعت بخبره ﴿إذ ناداه ربه﴾: أي كلّمه نداء ﴿بالواد المقدّس﴾: أي المطهّر ﴿طوى﴾ وهو اسم الوادي. قال قتادة: كنا نحدّث أنه قدّس مرتين ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكّى﴾ قال ابن زيد: إلى أَن تُسْلِمَ؛ قال: والتزكّي في القرآن كلّه الإسلام.

﴿وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ قال البغوي[2]: أدعوك إلى عبادة ربك وتوحيده، فتخشى عقابه ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ قال مجاهد: عصاه ويده ﴿فكذّب وعصى ثم أدبر يسعى﴾ قال مجاهد: يعمل بالفساد ﴿فحشر فنادى﴾ قال ابن زيد: صرخ وحشر قومه فنادى فيهم، فلما اجتمعوا قال ﴿أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ قال قتادة: عقوبة الدنيا والآخرة ﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ قال ابن كثير[3]: أي لمن يتّعظ وينزجر.

قوله عز وجل: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٦٨).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤١٢).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٦٨).

قال ابن كثير: يقول تعالى محتجّاً على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه ﴿أأنتم﴾ أيها الناس ﴿أشدّ خلقاً أم السماء﴾؟ يعني بل السماء أشدّ خلقاً منكم، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾[1]. قال البغوي ﴿أأنتم أشدّ خلقاً أم السماء﴾ يعني أخلقكم بعد الموت أشدّ عندكم وفي تقديركم أم السماء؟ وهما في قدرة الله واحد.

قال ابن كثير[2] **وقوله تعالى**: ﴿بناها﴾ فسّره بقوله ﴿رفع سمكها فسوّاها﴾ قال مجاهد: رفع بناءها بغير عمد ﴿وأغطش ليلها﴾ قال ابن عباس: أظلم ليلها ﴿وأخرج ضحاها﴾ قال مجاهد: نورها. ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ قال ابن عباس: وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات، ثم دحى الأرض بعد ذلك ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها﴾.

قال ابن كثير[3] **وقوله تعالى**: ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾: أي دحى الأرض، فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبّت جبالها لتستقرّ بأهلها ويقرّ قرارها، كلّ ذلك متاعاً لخلقه، ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدّة احتياجهم إليها في هذه الدار، إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل.

قوله عز وجل: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ

---

(١) سورة غافر: الآية ٥٧.

(٢) المصدر السابق (٤/٤٦٨).

(٣) المصدر السابق (٤/٤٦٩).

﴿ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

عن ابن عباس قوله ﴿فإذا جاءت الطامّة الكبرى﴾ من أسماء يوم القيامة، عظّمه الله وحذّره عباده. **قال البغوي**[1]: والطامّة عند العرب الداهية التي لا تستطاع ﴿يوم يتذكّر الإنسان ما سعى﴾ ما عمل في الدنيا من خير وشرّ ﴿وبرّزت الجحيم لمن يرى﴾ قال مقاتل: يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق ﴿فأما من طغى﴾ قال مجاهد: عصى وآثر الحياة الدنيا ﴿فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾ قال مقاتل: هو الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها ﴿فإنّ الجنّة هي المأوى﴾.

﴿يسألونك عن الساعة أيّان مرساها﴾ قال البغوي: متى ظهورها وثبوتها ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ لست في شيء من علمها وذكرها: أي لا تعلمها ﴿إلى ربك منتهاها﴾: أي منتهى عملها عند الله ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾: أي إنما ينفع إنذارك من يخافها ﴿كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشيّة أو ضحاها﴾ قال قتادة: وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة.

• • •

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤١٤).

الدرس التاسع والتسعون بعد المائتين

﴿سورة عبس﴾

مكية، وهي اثنتان[1] وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾.

---

(١) في الأصل: «اثنان»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف، وهو الصواب.

قوله عز وجل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾.

عن ابن عباس قوله ﴿عبس وتولّى أن جاءه الأعمى﴾ قال: بينما رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب، وكان يتصدّى لهم كثيراً رجاء أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله ابن أمّ مكتوم يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرىء النبيّ ﷺ آية من القرآن وقال: يا رسول الله علّمني مما علّمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولّى، وكره كلامه وأقبل على الآخرين، فلما قضى رسول الله ﷺ وأخذ ينقلب إلى أهله، أمسك الله بعض بصره ثم خفق برأسه، ثم أنزل الله ﴿عبس وتولّى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعلّه يزّكّى أو يذّكّر فتنفعه الذكرى﴾. فلما نزل فيه أكرمه رسول الله ﷺ وكلّمه وقال له: «ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟» وإذا ذهب من عنده قال له: «هل لك حاجة في شيء؟» وذلك لِمَا أنزل الله ﴿أما من استغنى فأنت له تصدّى وما عليك ألاَّ يزّكّى﴾[1].

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٥١) بسند ضعيف جداً. وبنحوه ــ مختصراً ــ من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه الترمذي (ح/ ٣٣٣١) وحسنه، وابن جرير (٣٠/ ٥٠)، وصححه ابن حبان «موارد الظمآن» (ح/ ١٧٦٩)، والحاكم (٢/ ٥١٤)، وقال: «حديث صحيح» على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة، قال الذهبي: وهو الصواب، وفي الباب من حديث أنس، وكعب بن عجرة، وأبي أمامة رضي الله عنهم.

قال ابن زيد: كان يقال: لو أن رسول الله ﷺ كتم من الوحي شيئاً كتم هذا عن نفسه؛ قال: وكان يتصدّق كهذا الشريف في جاهليّته رجاء أن يسلم، وكان عن هذا يتلهّى.

قال البغوي[1]: ﴿عبس﴾ كلح ﴿وتولى﴾ أعرض بوجهه ﴿أن جاءه الأعمى﴾ وهو ابن أمّ مكتوم ﴿وما يدريك لعلّه يزّكّى﴾ يتطهّر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلّمه منك ﴿أو يذّكّر﴾ يتّعظ ﴿فتنفعه الذكرى﴾. ﴿أما من استغنى﴾ قال ابن عباس: عن الله وعن الإيمان بمالَهُ من المال ﴿فأنتَ له تصدّى﴾ تتعرّض له وتقبل وتصغي إلى كلامه ﴿وما عليك ألاَّ يزّكّى﴾ أن لا يؤمن ويهتدي، إن عليك إلاَّ البلاغ. ﴿وأما من جاءك يسعى﴾ يمشي يعني ابن أمّ مكتوم ﴿وهو يخشى﴾ الله عز وجل ﴿فأنت عنه تلهّى﴾ تتشاغل وتعرض عنه. ﴿كلاّ﴾ زجر: أي لا تفعل بعدها مثلها ﴿إنها﴾ يعني هذه الموعظة؛ وقال مقاتل: آيات القرآن ﴿تذكرة﴾ موعظة وتذكير للخلق ﴿فمن شاء﴾ من عباد الله ﴿ذكره﴾: أي اتّعظ به. ثم أخبر عن جلالته عنده فقال ﴿في صحف مكرّمة﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿مرفوعة مطهّرة﴾ لا يمسّها إلاَّ المطهّرون ﴿بأيدي سفرة﴾ قال ابن عباس: هم الملائكة ﴿كرام بررة﴾ قال البغوي[2]: أي كرام على الله بررة مطيعين. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاقّ له أجران»[3]. رواه الجماعة.

قوله عز وجل: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ

(١) انظر «معالم التنزيل» (ح/ ٤١٥).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤١٦).

(٣) سبق تخريجه.

﴿شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾﴾.

قال مجاهد: ما كان في القرآن: قتل الإنسان أو فعل بالإنسان، فإنما عني به الكافر. **قال البغوي**[1]: ﴿ما أكفره﴾ ما أشدّ كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده، على طريق التعجّب. قال الزجاج معناه اعجبوا أنتم من كفره. وقال الكلبيّ ومقاتل: هو «ما» الاستفهام يعني أيّ شيء حمله على الكفر؟ ثم بيّن من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خلقه فقال ﴿من أيّ شيء خلقه﴾.

وقال ابن كثير[2]: ثم بيّن تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير، وأنه قادر على إعادته كما بدأه فقال تعالى ﴿من أيّ شيء خلقه من نطفة خلقه فقدّره﴾ **قال البغوي**[3]: أطواراً: من نطفة ثم علقة إلى آخر خلقه ﴿ثم السبيل يسّره﴾ قال ابن عباس: يعني بذلك خروجه من بطن أمّه، يسّره له. وقال مجاهد هو كقوله: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾[4].

﴿ثم أماته فأقبره﴾ قال البغوي: جعل له قبراً يوارى فيه ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ أحياه بعد موته ﴿كلاّ لما يقض ما أمره﴾ قال البغوي ﴿كلاّ﴾ ردّ عليه: أي ليس كما يقول ويظنّ هذا الكافر. وقال الحسن: حقّاً ﴿لما يقض ما أمره﴾: أي لم يفعل ما أمره به ربه، ولما يؤدّ ما فرض عليه. ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ كيف قدّره ربه ودبّره له وجعله سبباً لحياته. وقال مجاهد: إلى مدخله ومخرجه. ثم بيّن فقال ﴿أنّا صببنا الماء صبّاً﴾ يعني المطر ﴿ثم شققنا الأرض شقّاً﴾ بالنبات ﴿فأنبتنا فيها حبّاً﴾: أي الحبوب التي يتغذّى بها

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٤١٦ ـ ٤١٧).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٧١ ــ ٤٧٢).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤١٧).

(٤) سورة الإنسان: الآية ٣.

﴿وعنباً وقضباً﴾ وهو القتّ الرطب، سمّي بذلك لأنه يقضب في كلّ أيام: أي يقطع. ﴿وزيتوناً﴾ وهو ما يعصر منه الزيت ﴿ونخلاً وحدائق﴾ بساتين ﴿غلباً﴾ غلاظ الأشجار. وقال مجاهد: الغلب الشجر الملتفّ بعضه في بعض.

﴿وفاكهة﴾ يريد ألوان الفاكهة. ﴿وأبّاً﴾ يعني الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس. قال قتادة: الفاكهة لكم، والأبّ لأنعامكم. وعن إبراهيم التيميّ قال: سئل أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه عن قوله تعالى ﴿وفاكهة وأبّاً﴾ فقال: «أيّ سماء تظلّني، وأيّ أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟»[1] وعن أنس قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿عبس وتولّى﴾ فلما أتى على هذه الآية ﴿وفاكهة وأبّاً﴾ قال: «قد عرفنا الفاكهة فما الأبّ؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطاب، إنّ هذا لهو التكلّف»[2]؛ **قال ابن كثير**[3]: وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلاّ فهو وكلّ من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض، لقوله ﴿فأنبتنا فيها حبّاً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأبّاً﴾.

وقوله تعالى: ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾: أي عشية لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة.

قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

---

(١) أخرجه أبو عبيد كما عزاه له ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٧٣)، وقال ابن كثير عن إسناده: إنه منقطع.

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٥٩)، وقال ابن كثير عن إسناده: أنه صحيح.

(٣) المصدر السابق (٤/ ٤٧٣).

عن ابن عباس في قوله: ﴿فإذا جاءت الصاخّة﴾ قال: «هذا من أسماء يوم القيامة، عظّمه الله وحذّره عباده»[١]. قال البغوي[٢]: ﴿فإذا جاءت الصاخّة﴾ يعني صيحة القيامة، سمّيت بذلك لأنها تصخّ الأسماع: أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمّها ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ لا يلتفت إلى واحد منهم لشغله بنفسه. وقال عكرمة: يلقي الرجل زوجته فيقول: يا هذه أيُّ بعل كنت لك؟ فتقول: نعم البعل، وتثني بخير ما استطاعت، فيقول لها: فإنّي أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لي لعلّي أنجو مما ترين، فنقول له: ما أيسر ما طلبت، ولكنّي لا أطيق أن أعطيك شيئاً، أتخوّف مثل الذي تحاف. قال: وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلّق به فيقول: يا بنيّ: أيُّ والد كنت لك؟ فيثني بخير فيقول له: يا بنيّ إنّي احتجت إلى مثقال ذرّة من حسناتك لعلّى أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت، ولكنّي أتخوّف مثل الذي تخوّف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً؛ يقول الله تعالى ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾. وعن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً»، فقالت: يا رسول الله فكيف بالعورات؟ فقال: ﴿لكلّ امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾»[٣]. رواه النسائي. وقال ابن زيد في قول الله ﴿لكلّ امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه قال: شأن قد شغله عن صاحبه.

﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة﴾ قال: هؤلاء أهل الجنّة: ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة﴾ قال: هذه وجوه أهل النار؛ قال: والقترة من الغبرة وهما واحد، فأما في الدنيا فإن القترة ما ارتفع فحلق بالسماء رفعته الريح، تسمّيه

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٦١)، وفيه انقطاع.

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤١٨).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٥٠٧)، والحاكم (٤/ ٥٦٤) وصححه، وسكت عليه الذهبي؛ وهو حديث صحيح. وبنحوه أخرجه البخاري (ح/ ٦٥٢٧)، ومسلم (ح/ ٢٨٥٩).

العرب: القترة؛ وما كان أسفل في الأرض فهو الغبرة. وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «يلجم الكافرَ العرقُ، ثم تقع الغبرة على وجوههم ــ قال ــ فهو قوله ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾»[1]. وقال ابن عباس ﴿ترهقها قترة﴾: أي يغشاها سواد الوجوه.

وقال البغوي[2]: ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ مشرقة مضيئة. ﴿ضاحكة﴾ بالسرور ﴿مستبشرة﴾ فرحة بما نالت من كرامة الله عز وجل. ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ سواد وكآبة مما يشاهدون من الغمّ والهمّ ﴿ترهقها قترة﴾ تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف: ﴿أولئك﴾ الذين يصنع بهم هذا ﴿هم الكفرة الفجرة﴾.

• • •

(١) أخرجه ابن أبـي حاتم، كما عزاه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٧٤)، عن علي بن الحسين مرسلاً.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤١٨).

الدرس الثلاثمائة

﴿سورة التكوير﴾

مكية، وهي تسع[١] وعشرون آية

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين، فليقرأ إذا الشمس كوّرت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقّت»[٢]. رواه أحمد وغيره.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾

---

(١) في (الأصل) «تسعة»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف رحمه الله.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٧ و ٣٦ و ١٠٠)، والترمذي (ح/ ٣٣٣٣) وحسنه، والحاكم (٤/ ٥٧٦) بتمامه و (٢/ ٥١٥) مختصراً، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي.

وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

* * *

قوله عز وجل: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾.

عن أبـي العالية قال: قال أبـيّ بن كعب: «ستّ آيات قبل يوم القيامة، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحرّكت واضطربت واحترقت، وفزعت الجنّ إلى الإنس والإنس إلى الجنّ، واختلطت الدوابّ والطير والوحش، وماجُوا بعضهم في بعض. ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ قال: اختلطت ﴿وإذا العشار عطّلت﴾ قال أهملها أهلها. ﴿وإذا البحار سجّرت﴾ قال: قالت الجنّ للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، قال: فانطلقوا إلى البحار فإذا هي نار تأجّج، قال فبينما هم كذلك إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم»[1].

وعن ابن عباس. ﴿إذا الشمس كوّرت﴾ يقول: أظلمت. قال قتادة: ذهب ضوءها فلا ضوء لها. وقال الزجاج: لفّت كما تلفّ العمامة ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ **قال البغوي**[2]: أي تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض ﴿وإذا

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٤١٩).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤١٩).

الجبال سيّرت﴾ قال ابن جرير: سيّرها الله فكانت سراباً وهباء منبثّاً ﴿وإذا العشار عطّلت﴾ قال الحسن: سيّبها أهلها فلم تصر ولم تحلب، ولم يكن في الدنيا مالٌ أعجب إليهم منها ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ قال ابن عباس: حشر البهائم موتها ﴿وإذا البحار سجّرت﴾ قال ابن عباس: كوّر الله الشمس والقمر والنجوم في البحر، فبعث عليها ريحاً دبوراً فنفخه حتى يصير ناراً، فذلك قوله ﴿وإذا البحار سجّرت﴾. ﴿وإذا النفوس زوّجت﴾ قال عمر بن الخطاب: هما الرجلان يعملان العمل يدخلان به الجنّة أو النار، وقرأ ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾[1] قال: ضرباءهم. وقال مجاهد: الأمثال من الناس جمع بينهم. وقال قتادة: لحق كلّ إنسان بشيعته. وقال الشعبيّ: زوّجت الأرواح الأجساد. وعن أبي العالية في قوله ﴿إذا الشمس كوّرت﴾ قال: سيأتي أولها والناس ينظرون وسيأتي آخرها ﴿إذا النفوس زوّجت﴾.

وعن قتادة ﴿وإذا الموؤودة سئَلت﴾ هي في بعض القراءة: سألت ﴿بأيّ ذنب قتلت﴾ لا بذنب؛ كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغذو كلبه، فعاب الله ذلك عليهم. **قال البغوي**[2]: ومعناه تسأل الموؤودة فيقال لها: بأيّ ذنب قتلت؟ ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها، لأنها تقول: قتلت بغير ذنب. ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ قال قتادة: صحفك يا ابن آدم تملي ما فيها ثم تطوى، ثم تنشر عليك يوم القيامة. ﴿وإذا السماء كشطت﴾ قال السدي: كشفت. وقال الفرّاء: نزعت فطويت. وعن قتادة. ﴿وإذا الجحيم سعّرت﴾ سعّرها غضب الله وخطايا بني آدم.

﴿وإذا الجنّة أزلفت﴾ **قال ابن جرير**[3]: قرّبت وأدنيت. ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قال قتادة: من عمل. وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما نزلت ﴿إذا

---

(١) سورة الصافات: الآية ٢٢.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤١٩).

(٣) انظر «جامع البيان» (٣٠/ ٧٣).

الشمس كوّرت﴾ قال عمر لمّا بلغ ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾: لهذا جرى الحديث. قال البغوي: وهذا جواب قوله ﴿إذا الشمس كوّرت﴾ وما بعدها.

قوله عز وجل: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ۝٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ۝٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾.

عن قتادة قوله ﴿فلا أقسم بالخنّس الجوار الكنّس﴾ قال: هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار. وقال: الخنّس هي النجوم تخنس بالنهار، و ﴿الجوار الكنّس﴾ سيرهنّ إذا غبن. وقال ابن زيد: الخنس إنها تخنس: تتأخّر عن مطلعها، هي تتأخّر كلّ عام، لها في كلّ عام تأخّر عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه. والكنّس تكنس بالنهار فلا ترى. قال: والجواري تجري بعد؛ فهذا ﴿الخنّس الجوار الكنّس﴾.

قال ابن القيّم[1]: «أقسم سبحانه بالنجوم في أحوالها الثلاثة: من طلوعها وجريانها وغروبها». وعن ابن عباس قوله ﴿والليل إذا عسعس﴾ يقول: إذا أدبر. وقال الحسن يقول: أقبل بظلامه، ويشهد لهذا قوله تعالى ﴿والليل إذا يغشى﴾[2] ورجّحه ابن كثير[3]. ﴿والصبح إذا تنفّس﴾ قال قتادة: إذا أضاء وأقبل ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ يعني جبريل. قال ابن كثير: يعني أن هذا القرآن لتبليغ ﴿رسول

(١) انظر «التبيان في أقسام القرآن» (ص ١٢٠).

(٢) سورة الليل: الأية ١.

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٧٩).

كريم﴾: أي ملك شريف ﴿ذي قوّة﴾ كقوله تعالى ﴿علّمه شديد القوى ذو مِرّة﴾: أي شديد الخلق شديد البطش والفعل ﴿عند ذي العرش مكين﴾: أي له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة ﴿مطاع ثَمّ﴾: أي له وجاهة وهو مسموع القول في الملأ الأعلى ﴿أمين﴾ **قال البغوي**[1]: على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه. ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ يقول لأهل مكة ﴿وما صاحبكم﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿بمجنون ولقد رآه﴾ يعني رأى النبيّ ﷺ جبريل عليه السلام على صورته ﴿بالأفق المبين﴾ وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق؛ قاله مجاهد وقتادة.

قال ابن كثير[2]: وقوله تعالى ﴿وما هو على الغيب بظنين﴾: أي وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين: أي بمتّهم؛ ومنهم من قرأ ذلك بالضاد: أي ببخيل، بل يبذله لكلّ أحد. قال قتادة: كان القرآن غيباً فأنزله الله على محمد، فما ضنّ به على الناس بل نشره وبلّغه وبذله لكلّ من أراده. ﴿وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون﴾ يقول: فأين تعدلون عن كتابي وطاعتي ﴿إن هو إلاَّ ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال مجاهد: يتّبع الحقّ ﴿وما تشاؤون إلاَّ أن يشاء الله ربّ العالمين﴾ **قال البغوي**[3]: أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلاَّ بمشيئة الله، وفيه إعلام أنّ أحداً لا يعمل خيراً إلاَّ بتوفيق الله، ولا ضرّاً إلاَّ بخذلانه.

• • •

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٢١ ــ ٤٢٢)،

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٨٠).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٢٣).

﴿سورة الانفطار﴾

وهي تسع عشرة[1] آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾.

* * *

(١) في (الأصل): «تسعة عشر آية»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

قوله عز وجل: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾.

قال البغوي[1]: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ انشقّت ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ تساقطت. ﴿وإذا البحار فجّرت﴾ فجّر بعضها في بعض، واختلط العذب بالمالح فصارت بحراً واحداً. ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ قال ابن عباس: بحثت[2]. ﴿علمت نفس ما قدّمت وأخّرت﴾ قال القرظي ﴿ما قدّمت﴾ ما علمت، وأمّا ما ﴿أخّرت﴾ فالسنّة يسنّها الرجل يعمل بها من بعده ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم﴾ قال قتادة: شيء ما غرّ ابن آدم، هذا العدوّ الشيطان. سمع عمر رجلاً يقرأ ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم﴾؟ فقال عمر: الجهل.

وقوله تعالى: ﴿الذي خلقك فسوّاك فعدلك﴾ روى الإمام أحمد عن بشر بن جحاش القرشي أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفّه، فوضع عليها أصبعه ثم قال: «قال الله عز وجل: يا ابن آدم أنّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سوّيتك وعدلتك مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٢٤).

(٢) في (الأصل): «بحشت»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

إذا بلغت التراقي قلت: أتصدّق؛ وأنّي أوان الصدقة»؟[١] وعن مجاهد في قول الله ﴿في أيّ صورة ما شاء ركّبك﴾ قال: في أيّ شبه أب أو أم أو عم أو خال ﴿كلاّ بل تكذّبون بالدين﴾ قال: بالحساب.

﴿وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم عن التعرّي، فاستحيوا عن التعرّي، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلاّ عند إحدى ثلاث حالات: الغائط، والجنابة، والغسل، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه، أو بجرم حائط، أو ببعيره»[٢]. رواه البزار. وفي رواية ابن أبي حاتم: «أو ليستره أخوه»[٣].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

قال البغوي[٤]: **قوله عز وجل:** ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ الأبرار: الذين برّوا وصدقوا في إيمانهم، بأداء فرائض الله عز وجل واجتناب معاصيه. ﴿وإنّ الفجّار لفي جحيم﴾ روي أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم: ليت شعري، ما لنا عند الله؟ قال: أعرض عملك على كتاب الله، فإنك تعلم مالك عند الله. قال: فأين أجده في كتاب الله؟ فقال: عنده قوله ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجّار لفي

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢١٠)، وابن ماجه (ح/ ٢٧٠٧) وصححه بعضهم إسناده.

(٢) أخرجه البزار، كما في «مختصر زوائد البزار» (ح/ ٢٠٥) وقال: «لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلاّ من هذا الوجه، وحفص لين الحديث»، قلت وسنده ضعيف جداً

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما عزاه له ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٢) عن مجاهد مرسلاً

(٤) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٢٥).

جحيم﴾ قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: رحمة الله قريب من المحسنين.

قوله عز وجل: ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ﴿يوم الدين﴾ يوم القيامة ﴿وما هم عنها بغائبين﴾؛ ثم عظّم ذلك اليوم فقال: ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾؛ ثم كرّر تفخيماً لشأنه فقال: ﴿ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله﴾ قال قتادة: والأمر واللهِ اليوم لله، ولكنّه يومئذ لا ينازعه أحد؛ ليس ثَمّ أحد يومئذٍ يقضي شيئاً ولا يصنع إلَّا ربّ العالمين؛ **قال ابن كثير**[1]: ولهذا قال ﴿والأمر يومئذ لله﴾، كقوله ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار﴾[2].

• • •

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٨٣).

(٢) سورة غافر: الآية ١٦.

الدرس الواحد بعد الثلاثمائة

﴿سورة المطففين﴾

مكية، وهي ست[1] وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا

---

(١) في (الأصل): «ستة»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ۞ .

* * *

قوله عز وجل ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾.

عن هلال بن طلق قال: بينما أنا أسير مع ابن عمر فقلت: مِنْ أحسن الناس هيئة وأوفاهم كيلا، أهل مكة وأهل المدينة؛ قال: حقّ لهم، أما سمعت الله تعالى يقول ﴿ويل للمطفّفين﴾. وعن ابن عباس قال: «لما قدم النبيّ ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى ﴿ويل للمطفّفين﴾ فحسّنوا الكيل بعد ذلك»[1]. وعن ابن عمر أنه قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، إن أهل المدينة ليوفون الكيل، قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل، وقد قال الله تعالى ﴿ويل للمطفّفين﴾ حتى بلغ ﴿يوم يقوم الناس لربّ العالمين﴾؟ وعن عكرمة قال: أشهد أن كلّ كيّال ووزّان في النار، فقيل له في ذلك فقال: إنه ليس منهم أحد يزن كما يتّزن، ولا يكيل كما يكتال، وقد قال الله ﴿ويل للمطفّفين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾. قال الزجاج: المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل.

﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾؛ قال البغوي[2]: أي كالوا لهم ووزنوا لهم ﴿يخسرون﴾: أي ينقصون، ﴿ألاَّ يظنّ أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لربّ العالمين﴾؟ وعن ابن عمر أن النبيّ ﷺ قال: «يقوم الناس لربّ

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/٥٠٨)، وابن ماجه (ح/٢٢٣)، وابن جرير (٣٠/٩١)، والطبراني (١١/٣٧١)، والحاكم (٢/٣٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/٤٢٧).

العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»[١]. متفق عليه. وعن أبـي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل، ويزاد في حرّها كذا وكذا، تغلي منها الهوام كما تغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم، فمنهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق»[٢]. رواه أحمد. عن أبـي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاريّ: «كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه لربّ العالمين مقدار ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا، لا يأتيهم خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر؟» قال بشير: المستعان الله يا رسول الله. قال: «إذا أنت أويت إلى فراشك فتعوّذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب»[٣]. رواه ابن جرير.

قوله عز وجل ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾.

عن قتادة قوله ﴿إن كتاب الفجّار لفي سجّين﴾ ذكر أن عبد الله بن عمر كان يقول: هي الأرض السفلى، فيها أوراح الكفار، وأعمالهم أعمال السوء. **وقال ابن**

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٦٥٤١)، ومسلم (ح/ ٢٨٦٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٤)، والطبراني (٨/ ٢٢٢) بسند حسن، وله شاهد من حديث المقداد بن عمر رضي الله عنه: أخرجه مسلم (ح/ ٢٨٦٤) بنحوه، وشاهد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أخرجه الحاكم (٤/ ٥٧١) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٩٣) بسند ضعيف.

كثير[١] **يقول تعالى**: حقّاً إن كتاب الكفّار ﴿لفي سجّين﴾: أي أن مصيرهم ومأواهم لفي سجين، مأخوذ من السجن وهو الضيق ولهذا عظّم أمره فقال تعالى ﴿وما أدراك ما سجّين﴾: أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم. انتهى ملخصاً. وقال الزجاج في قوله ﴿وما أدراك ما سجّين﴾: أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

﴿كتاب مرقوم﴾ **قال البغوي**[٢]: ليس هذا تفسير السجين، بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله ﴿إن كتاب الفجّار﴾ قال قتادة: رقم لهم بشرّ. ﴿ويل يومئذ للمكذّبين الذين يكذّبون بيوم الدين وما يكذّب به إلاَّ كلّ معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين﴾ **قال ابن كثير**[٣]: أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا أن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله، ووحيه، وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به، ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا، ولهذا قال تعالى ﴿كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾». وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب صقل منها، فإن عاد عادت حتى تعظم في قلبه، فذلك الران الذي قال الله ﴿كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[٤]. رواه ابن جرير. وعن قتادة قوله ﴿كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ أعمال السوء: أي والله ذنب على ذنب وذنب على ذنب حتى مات قلبه واسودّ. وقال ابن

---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٨٤).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٢٩).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٨٥).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧)، والترمذي (ح/ ٣٣٣٤)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٦/ ٥٠٩)، وابن ماجه (ح/ ٤٢٤٤)، وابن جرير (٣٠/ ٩٨)، والحاكم (٢/ ٥١٧)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. قلت: ومداره على محمد بن عجلان، وهو صدوق، وقد اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، فهو حديث حسن

زيد: غلب على قلوبهم ذنوبهم فلا يخلص إليها معها خير. وعن قتادة ﴿كلاّ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ هو لا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ﴿ولهم عذاب أليم﴾. وقال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته. وقال الإمام مالك: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى رأوه[1].

قال البغوي[2]: ثم أخبر أن الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال ﴿ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا﴾: أي هذا العذاب ﴿الذي كنتم به تكذّبون﴾.

قوله عز وجل ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

عن قتادة قوله ﴿إن كتاب الأبرار لفي علّيين﴾ قال: علّيون فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى، وقال ابن عباس: أعمالهم في كتاب عند الله في السماء. وقال كعب الأحبار: إن الروح المؤمنة إذا قبضت صعد بها، ففتحت لها أبواب السماء وتلقّتها الملائكة بالبشرى، ثم عرجوا معها حتى ينتهوا إلى العرش، فيخرج لها من عند العرش رَقّ فيرقم ثم يختم بمعرفتها النجاة بحساب يوم القيامة، وتشهد الملائكة المقرّبون.

---

(١) وبمفهوم هذه الآية، استدل أهل السنة ــ رحمهم الله ــ على رؤية المؤمنين لربهم عز وجل يوم القيامة كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، وقوله ﷺ: «أنكم سترون ربكم لا تضامون في رؤيته كما ترون...» وأحاديث كثيرة.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/٤٢٩).

وقال البغوي[١]: ﴿إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون﴾ إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعمة ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ قال الحسن: النضرة في الوجه، والسرور في القلب. ﴿يسقون من رحيق مختوم﴾ قال ابن عباس: يعني بالرحيق الخمر، طيّب الله لهم الخمر فكان آخر شيء جعل فيها حتى تختم بمسك. وعن قتادة ﴿ختامه مسك﴾ قال: عاقبته مسك يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك. ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ قال عطاء: فليستبق المستبقون. وعن ابن عباس قوله ﴿ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقرّبون﴾ صرفاً، ويمزج فيها لمن دونهم. وعن الحسن في قوله ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ قال: خفايا أخفاها الله لأهل الجنّة. وقال ابن عباس: هذا مما قال الله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين﴾[٢].

قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

عن قتادة قوله ﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون﴾ في الدين، يقولون: والله إن هؤلاء لكذبة وما هم على شيء، استهزاء بهم ﴿وإذا مرّوا بهم يتغامزون﴾ **قال ابن جرير**[٣]: يقول: كان بعضهم يغمز بعضاً بالمؤمن استهزاء به وسخرية ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين﴾ قال ابن عباس: معجبين ﴿وإذا رأوهم قالوا إنّ هؤلاء لضالّون﴾ **قال ابن كثير**[٤]: أي لكونهم على غير دينهم، قال

(١) المصدر السابق (٤/ ٤٣٠).

(٢) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٣) انظر «جامع البيان» (٣٠/ ١١٠).

(٤) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٨٧).

الله تعالى ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين﴾ **قال ابن جرير**[١]: يقول تعالى ذكره: وما بعث هؤلاء الكفار القائلون للمؤمنين ﴿إن هؤلاء لضالّون﴾ حافظين عليهم بأعمالهم، يقول: إنما كُلّفوا الإيمان بالله والعمل بطاعته، ولم يُجعلوا رقباء على غيرهم يحفظون عليهم أعمالهم وينتقدونها.

وعن ابن عباس قوله ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفّار يضحكون على الأرائك ينظرون﴾ قال: يعني السرر المرفوعة عليها الحجال. وكان ابن عباس يقول: «إن السور الذي بين الجنّة والنار يفتح لهم فيه أبواب، فينظر المؤمنون إلى أهل النار، والمؤمنون على السور ينظرون كيف يعذّبون فيضحكون منهم»[٢]، فيكون ذلك مما أقرّ به أعينهم كيف ينتقم الله منهم.

وعن مجاهد ﴿هل ثوّب الكفّار﴾؟ قال: جزي. وعن سفيان ﴿هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون﴾ حين كانوا يسخرون؟ **قال البغوي**[٣]: ومعنى الاستفهام ههنا التقرير. وقال ابن كثير وقوله تعالى ﴿هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون﴾؟: أي هل جوزي الكفّار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا؟ يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمّه وأكمله.

• • •

(١) انظر «جامع البيان» (٣٠/ ١١٠).

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ١١١) بسند ضعيف.

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٣٢).

﴿سورة الانشقاق﴾

مكية، وهي خمس[1] وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.

* * *

(١) في (الأصل): «خمسة»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

قوله عز وجل ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾.

عن أبي رافع قال: صلّيت مع أبي هريرة العتمة فقرأ ﴿إذا السماء انشقّت﴾ فسجد فقلت له، فقال: «سجدت خلف أبي القاسم ﷺ، فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه»[1]. متفق عليه.

قال البغوي[2]: ﴿إذا السماء انشقّت﴾ انشقاقها من علامات القيامة ﴿وأذنت لربّها﴾: أي سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته، من الإذن: وهو الاستماع: ﴿وحقّت﴾: أي وحقّ لها أن تطيع ربها ﴿وإذا الأرض مدّت﴾ مدّ الأديم وزيد في سعتها ﴿وألقت ما فيها وتخلّت﴾ قال مجاهد: أخرجت ما فيها من الموتى؛ وقال قتادة: أخرجت أثقالها وما فيها ﴿وأذنت لربّها وحقّت﴾.

﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾ قال قتادة: إن كدحك يا ابن آدم لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل، ولا قوّة إلاّ بالله. وقال ابن زيد ﴿كدحاً﴾ العمل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب

(١) أخرجه البخاري (ح/٧٦٨)، ومسلم (١/ ٤٠٧).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٣٣).

حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً﴾ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب عذّب»، فقلت: يا رسول الله أفليس قال الله ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾؟ قال: «ليس ذلك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذّب»[1]. متفق عليه، وعن قتادة ﴿وينقلب إلى أهله مسروراً﴾ قال: إلى أهل أعدّ الله لهم في الجنّة.

وعن مجاهد قوله ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ قال: يجعل يده من وراء ظهره ﴿فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً﴾ قال ابن جرير[2]: وقوله ﴿فسوف يدعو ثبوراً﴾ يقول: فسوف ينادي بالهلاك، وهو أن يقول: واثبوراه واويلاه ﴿إنه كان في أهله مسروراً﴾ قال قتادة: أي في الدنيا ﴿إنه ظنّ أن لن يحور﴾ أن لن ينقلب، يقول: أن لن يبعث. قال البغوي[3]: ثم قال ﴿بلى﴾، أي: ليس كما ظنّ، بل يحور إلينا ويبعث: ﴿إن ربه كان به بصيراً﴾ من يوم خلقه إلى أن بعثه.

قوله عز وجل ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾.

عن ابن عباس ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ قال: هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس. ﴿والليل وما وسق﴾ وما جمع. ﴿والقمر إذا اتسق﴾ يقول: إذا استوى. ﴿لتركبنّ طبقاً عن طبق﴾ يقول: حالاً بعد حال. قال ابن زيد: الآخرة بعد

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٤٩٣٩ و ٦٥٣٦)، ومسلم (ح/ ٢٨٧٦).

(٢) انظر «جامع البيان» (٣٠/ ١١٧).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٣٤).

الأولى: ﴿فما لهم لا يؤمنون﴾ قال: بهذا الحديث وبهذا الأمر. ﴿وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذّبون والله أعلم بما يوعون﴾ قال مجاهد: يكتمون ﴿فبشّرهم بعذاب أليم﴾ **قال ابن كثير**[1]: أي فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعدّ لهم عذاباً أليماً.

وقوله تعالى: ﴿إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ هذا استثناء منقطع، يعني: لكن ﴿الذين آمنوا﴾: أي بقلوبهم ﴿وعملوا الصالحات﴾: أي بجوارحهم ﴿لهم أجر﴾: أي في الدار الآخرة ﴿غير ممنون﴾ **قال البغوي**[2]: غير مقطوع ولا منقوص.

• • •

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٩١).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٣٥).

الدرس الثاني بعد الثلاثمائة

﴿سـورة البروج﴾

مكية، وهي اثنتان وعشرون آية

عن أبـي هريرة: «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق»[1]. رواه أحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٧) بسند ضعيف جداً.

قوله عز وجل ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١﴾.

عن مجاهد ﴿والسماء ذات البروج﴾ قال: النجوم. وقال ابن جرير[1]: ذات منازل الشمس والقمر وقال ابن عباس: قصور في السماء. ﴿واليوم الموعود﴾ قال قتادة: يعني يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿وشاهد ومشهود﴾ قال ابن عباس: «الشاهد محمد، والمشهود يوم القيامة، ثم قرأ ﴿ذلك يوم مجموع له لناس وذلك يوم مشهود﴾»[2]. وقال مجاهد: الشاهد ابن آدم، والمشهود يوم القيامة. وعن ابن عباس في قوله ﴿وشاهد﴾ يقول: الله ﴿ومشهود﴾ يقول: يوم القيامة. وقال وابن عمرو بن الزبير: الشاهد يوم الذبح، والمشهود يوم الجمعة. وعن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية ﴿وشاهد ومشهود﴾ قال: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، والموعود يوم القيامة. وروى مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: « ﴿واليوم الموعود﴾ يوم القيامة ﴿وشاهد﴾ يوم الجمعة، وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلَّا

(١) انظر «جامع البيان» (٣٠/ ١٢٧).

(٢) سورة النساء: الآية ٤١.

أعطاه إياه، ولا يستعيذ فيها من شرّ إلاَّ أعاذه، ﴿ومشهود﴾ يوم عرفة»[١]. وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا عليّ الصلاة يوم الجمعة، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة»[٢]. رواه ابن جرير.

قال ابن القيّم[٣]: (فالشاهد هو المطّلِع والرقيب والمخبِر، والمشهود هو المطّلَع عليه المخبَر به المشاهَد، إلى أن قال: فكلّ ما وقع عليه اسم: شاهد ومشهود، فهو داخل في هذا القسم، فلا وجه لتخصيص بعض الأنواع أو الأعيان إلاَّ على سبيل التمثيل).

وعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إنّي كبر سنّي وحضر أجلي، فادفع إليّ غلاماً لأعلّمه السحر، فدفع إليه غلاماً كان يعلّمه السحر؛ وكان الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر. قال: فبينما هو ذات يوم، إذ أتى على دابّة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحبّ إلى الله أم أمر الساحر؛ فأخذ حجراً فقال: اللهمّ إن كان أمر الراهب أحبّ إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل

---

(١) أخرجه الترمذي (ح/٣٣٣٩)، وقال: «حسن غريب لا نعرفه إلاَّ من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يُضعف في الحديث»، وابن جرير (٣٠/١٢٩)، والبيهقي في سننه (٣/١٧٠) بسند ضعيف. وروي موقوفاً عن أبي هريرة: أخرجه الحاكم (٢/٥١٩)، وصححه ووافقه الذهبي، ومن طريقه البيهقي في سننه (٣/١٧٠)، وفي الباب من حديث أبي مالك الأشعري وجبير بن مطعم رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٠/١٣١) بسند ضعيف.

(٣) انظر «التبيان في أقسام القرآن» (ص٩٦).

هذه الدابّة حتى يجوز الناس، ورماها فقتلها ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك فقال: أي بنيّ أنت أفضل منّي وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ.

فكان الغلام يبرىء الأكمة والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس فعمي، فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما ههنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحداً، وإنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك، فآمن فدعا الله فشفاه، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان من ردّ عليك بصرك؟ فقال: ربّـي، فقال: أنا؟ قال: لا، ربّـي وربّك الله، قال: أولك ربّ غيري؟ قال: نعم، ربّـي وربّك الله، فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الغلام فبعث إليه فقال: أي بنيّ بلغ من سحرك أن تبرىء الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل، قال: أنا؟ قال: لا، قال: أولك ربّ غيري؟ قال: ربّـي وربّك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دلّ على الراهب؛ فأتي بالراهب فقال: ارجع عن دينك فأبـى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقّاه؛ وقال لأعمى: ارجع عن دينك فأبـى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقّاه إلى الأرض؛ وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبـى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال: إذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلاَّ فدهدهوه، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال: اللهمّ اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمّس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى.

فبعث به مع نفر في قرقور فقال: إذا لججتم به البحر، فإن رجع عن دينه وإلاَّ فغرّقوه في البحر، فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهمّ اكفنيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون؛ وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى؛ ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني، وإلاَّ فإنك لا تستطيع قتلي؛ قال: وما هو؟ قال:

تجمع الناس في صعيد واحد، ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي، ثم قل: بسم الله ربّ الغلام، فإنك إن فعلت ذلك قتلتني، ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه، وقال: بسم الله ربّ الغلام، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات. فقال الناس: آمنّا بربّ الغلام، فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلّهم. فأمر بأفواه السكك فخدّت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه، وإلاّ فأقحموه فيها. قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبـيّ: اصبري يا أماه فإنك على الحقّ»[1]. رواه أحمد وغيره.

وعن ابن عباس ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ حرّقوا المؤمنين والمؤمنات ﴿ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنّم ولهم عذاب الحريق﴾ **قال ابن كثير**[2]: وذلك أن الجزاء من جنس العمل. قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾.

قوله عز وجل ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾.

قال البغوي[3]: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ قال ابن عباس: إنّ أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد. ﴿إنه هو يبدىء ويعيد﴾: أي يخلقهم أوّلاً في الدنيا ثم

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٧ ــ ١٨)، وبنحوه مسلم (ح/ ٣٠٠٥).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٩٦).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٤٠).

يعيدهم أحياء بعد الموت، ﴿وهو الغفور الودود﴾ قال ابن عباس يقول: الحبيب ﴿ذو العرش المجيد﴾ قال البغوي: قرأ حمزة والكسائي: المجيد بالجر على صفة العرش: أي السرير العظيم؛ وقيل: أراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم، فقال «رب العرش الكريم» ومعناه الكمال، والعرش أحسن الأشياء وأكملها. وقرأ الآخرون بالرفع على صفة ذو العرش؛ فقال: لمّا يريد لا يعجزه شيء يريده، ولا يمتنع منه شيء طلبه[١].

قال ابن كثير[٢]: وقوله تعالى ﴿هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود﴾: أي هل بلغك ما أحلّ الله بهم من البأس، وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردّها عنهم أحد؟ وهذا تقرير لقوله تعالى ﴿إن بطش ربّك لشديد﴾. وعن عمرو بن ميمون قال: مرّ النبيّ ﷺ على امرأة تقرأ ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ فقام يسمع فقال: «نعم قد جاءني»[٣]. رواه ابن أبي حاتم.

﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾ **قال البغوي**[٤]: ﴿بل الذين كفروا﴾ من قومك يا محمد ﴿في تكذيب﴾ لك وللقرآن، كدأب من قبلهم، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار ﴿والله من ورائهم محيط﴾ عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم. ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ كريم شريف كثير الخير، ليس كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة ﴿في لوح محفوظ﴾ وهو أمّ الكتاب ومنه تنسخ الكتب ﴿محفوظ﴾ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان. قال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

• • •

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٩٦): «وكلاهما معنى صحيح».

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤٩٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، كما عزاه له ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٩٦) عن عمرو بن ميمون مرسلاً.

(٤) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٤٠).

﴿سورة الطارق﴾

مكية، وهي سبع عشرة آية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾.

* * *

(١) في (الأصل): «سبعة عشر»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

قوله عز وجل ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾.

قال ابن كثير[١]: يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيّرة، ولهذا قال تعالى ﴿والسماء والطارق﴾ ثم قال ﴿وما أدراك ما الطارق﴾ ثم فسّره بقوله ﴿النجم الثاقب﴾ قال قتادة وغيره: إنما سمّي النجم طارقاً لأنه إنما يُرى بالليل ويختفي بالنهار. ﴿إن كلّ نفس لمّا عليها حافظ﴾ **قال البغوي**[٢]: ما كلّ نفس إلاَّ عليها حافظ؛ وهي لغة هزيل يجعلون «لمّا» بمنزلة «إلاَّ» يقولون: نشدتك الله لمّا قمت: أي إلاَّ قمت. وعن قتادة ﴿إن كلّ نفس لمّا عليها حافظ﴾ حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك، إذا توفيته يا ابن آدم قبضت إلى ربك. وقال الكلبي: حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها، حتى يدفعها ويسلّمها إلى المقادير، ثم يخلّي عنها.

﴿فلينظر الإنسان ممّ خلق﴾ **قال البغوي**[٣]: أي فليتفكّر من أيّ شيء خلقه ربه ﴿خلق من ماء دافق﴾ مدفوق: أي مصبوب في الرحم، وهو المنيّ. **وقال ابن كثير**[٤]: يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة، فيتولّد منهما الولد بإذن الله عز وجل؛

---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٩٧).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٤٢).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٤٤٣).

(٤) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٩٨).

ولهذا قال ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾، يعني: صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها. وقال قتادة: يخرج من بين صلب الرجل ونحره.

﴿إنه على رجعه لقادر﴾ قال: على بعثه وإعادته. ﴿يوم تبلى السرائر﴾ قال: إن هذه السرائر مختبرة، فأسرّوا خيراً أو أعلنوه إن استطعتم، ﴿ولا قوّة إلاّ بالله. فماله من قوّة ولا ناصر﴾ قال ﴿من قوّة﴾ يمتنع بها ﴿ولا ناصر﴾ ينصره من الله.

قوله عز وجل ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾.

عن قتادة قوله ﴿والسماء ذات الرجع﴾ قال: ترجع بأرزاق العباد كلّ عام، لولا ذلك هلكوا وهلكت مواشيهم. وقال الضحاك: يعني المطر. ﴿والأرض ذات الصدع﴾ قال قتادة: تصدع عن الثمار وعن النبات كما رأيتم. ﴿إنه لقول فصل﴾ قال ابن عباس يقول: حقّ.

﴿وما هو بالهزل﴾ قال مجاهد: باللعب، وعن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فتن»، قلنا: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله»[1]. الحديث.

قال ابن كثير[2]: ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذّبون به ويصدّون عن سبيله فقال ﴿إنهم يكيدون كيداً﴾: أي يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن

(١) سبق تخريجه، والصواب أنه موقوف من قول علي رضي الله عنه.

(٢) المصدر السابق (٤/٤٩٨).

﴿وأكيد كيداً﴾ قال البغوي[١]: وكيد الله استدراجه إيّاهم من حيث لا يعلمون. قال ابن كثير: ثم قال تعالى ﴿فمهّل الكافرين﴾: أي أَنْظِرْهُمْ ولا تستعجل لهم ﴿أمهلهم رويداً﴾: أي قليلاً: أي وسترى ماذا حلّ بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك، كما قال تعالى ﴿نمتّعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾[٢]. وقال في جامع البيان ﴿أمهلهم رويداً﴾ إمهالاً يسيراً، كرّر وخالف بين الفعلين لزيادة التسكين والتصبير، والحمد لله ربّ العالمين.

• • •

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٤٣).

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٤.

الدرس الثالث بعد الثلاثمائة

﴿سورة الأعلى﴾

مكية، وهي تسع عشرة[١] آية

عن النعمان بن بشير: «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بـ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ و ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما»[٢]. رواه مسلم وغيره.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

---

(١) في (الأصل): «تسعة عشر»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

(٢) أخرجه مسلم (ح/٨٧٨).

قوله عز وجل: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾.

عن قتادة ﴿سبّح اسم ربّك الأعلى﴾ ذكر لنا أن نبـيّ الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحان ربّـي الأعلى»[1]. وعن عقبة بن عامر الجهنيّ قال: لما نزلت ﴿فسبّح باسم ربك العظيم﴾ قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت: ﴿سبّح اسم ربّك الأعلى﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم»[2].

وقوله تعالى: ﴿الذي خلق فسوّى﴾: أي خلق الخليقة وسوّى كلّ مخلوق على هيئته ﴿والذي قدّر فهدى﴾: أي قدّر قدراً وهدى الخلائق إليه. ﴿والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى﴾ قال قتادة: يعود يبساً بعد خضرة. وقال ابن عباس: هشيماً متغيّراً. وعن مجاهد قوله ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ قال: كان يتذكّر القرآن في نفسه مخافة أن ينسى. وقال قتادة: كان ﷺ لا ينسى شيئاً إلاَّ ما شاء الله؛

---

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ١٥١) عن قتادة مرسلاً، وروي مسنداً عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه أحمد (١/ ٢٣٢)، وأبو داود (ح/ ٨٨٣)، ومن طريقه البيهقي في سننه (٢/ ٣١٠)، قال أبو داود: «خولف وكيع في هذا الحديث، رواه أبو وكيع وشعبة عن أبـي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً»، قال أحمد شاكر: «إسناده صحيح ثم أورد كلام أبـي داود المتقدم، ومال: «وما هذه بعلة». اهـ.

(٢) سبق تخريجه.

قال البغوي[١]: وهو ما نسخ الله تلاوته من القرآن، كما قال تعالى ﴿ما ننسخ من آية أو ننْسِها﴾[٢].

﴿إنه يعلم الجهر وما يخفى ونيسّرك لليسرى﴾ قال ابن عباس: نيسّرك لأن تعمل خيراً ﴿فذكّر إن نفعت الذكرى﴾ **قال ابن كثير**[٣]: أي ذكر حيث تنفع التذكرة، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله. ﴿سيذّكّر﴾ سيتّعظ ﴿من يخشى﴾ الله عز وجل ﴿ويتجنّبها﴾: أي الذكرى، ويتباعد عنها ﴿الأشقى الذي يصلي النار الكبرى ثم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه.

قوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

عن ابن عباس قوله ﴿قد أفلح من تزكّى﴾ يقول: من تزكّى من الشرك ﴿وذكر اسم ربه فصلّى﴾ يقول: الصلوات الخمس. وعن الحسن في قوله ﴿قد أفلح من تزكّى﴾ قال: من كان عمله زاكياً. ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ قال قتادة: فاختار الناس العاجلة إلاّ من عصم الله.

﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾ قال: تتابعت كتب الله كما تسمعون: إن الآخرة خير وأبقى. وعن أبـي الخلد قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لستّ ليال خلون من رمضان، وأنزل الزبور لاثنتي عشرة ليلة، وأنزل الإنجيل لثماني عشرة ليلة، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين». وفي

---

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٤٥).

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٦.

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٠٠).

حديث أبـي ذرّ المشهور قلت: يا رسول الله فهل في الدنيا شيء مما كان في أيدي إبراهيم وموسى؟ قال: «نعم، اقرأ يا أبا ذرّ: ﴿قد أفلح من تزكّى وذكر اسم ربه فصلّى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إنّ هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾»[1].

• • •

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٧١) إلى عبد بن حميد، وابن مردويه، وابن عساكر، وفي سنده كذاب، وسيأتي تخريجه أيضاً في آخر الكتاب.

﴿سورة الغاشية﴾

مكية، وهي ست[1] وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

* * *

(١) في (الأصل): «ستة» وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾.

قال ابن عباس: «الغاشية من أسماء يوم القيامة، عظّمه الله وحذّره عباده»[1]. ﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ قال قتادة: ذليلة ﴿عاملة ناصبة﴾ قال الحسن: لم تعمل لله في الدنيا فأعملها في النار ﴿تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية﴾ قال: أنَى طبخُها منذ يوم خلق الله الدنيا. ﴿ليس لهم طعام إلاَّ من ضريع﴾ قال ابن عباس: الضريع الشبرق. قال عكرمة: هي شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض، فإذا كان الربيع سمّتها قريش الشبرق، فإذا هاج العود سمّتها الضريع. ﴿لا يسمن ولا يغني من جوع﴾.

﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾: أي يعرف النعيم فيها. ﴿لسعيها راضية﴾ قال سفيان: قد رضيت بعملها. ﴿في جنّة عالية لا تسمع فيها لاغية﴾ قال ابن عباس يقول: لا تسمع أذى ولا باطلاً: ﴿فيها عين جارية﴾. أي سارحة، قال ابن كثير[2]: وهذه نكرة في سياق الإثبات، وليس المراد بها عيناً واحدة، وإنما هذا جنس يعني فيها عيون جاريات؛ ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ قال ابن عباس: ألواحها من ذهب، مكلّلة بالزبرجد والدرّ والياقوت مرتفعة ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ١٥٩)، وفيه انقطاع.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٠٣).

يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى موضعها؛ ﴿وأكواب موضوعة﴾ عندهم؛ ﴿ونمارق مصفوفة﴾ قال قتادة: والنمارق الوسائد؛ ﴿وزرابيّ مبثوثة﴾ قال ابن عباس: الزرابيّ البسط، قال البغوي: يعني البسط العريضة، قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل، واحدتها زربية، ﴿مبثوثة﴾ مبسوطة. انتهى.

قلت: وهي الزوالي بلسان بعض أهل الوقت.

قوله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

قال البغوي[1]: قال أهل التفسير: لما نعت الله تعالى في هذه السورة ما في الجنّة، عجب من ذلك أهل الكفر وكذّبوه، فذكر لهم الله تعالى صنعه فقال ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾. وكانت الإبل أعظم عيش العرب لهم فيها منافع كثيرة، فلما صنع لهم ذلك في الدنيا صنع لأهل الجنّة فيها ما صنع، وتكلّمت الحكماء في وجه تخصيص الإبل من بين سائر الحيوان فقال مقاتل: لأنهم لم يروا بهيمة قطّ أعظم منها، ولم يشاهدوا الفيل إلاّ الشاذّ منهم؛ وقال الكلبي: لأنها تنهض بحملها وهي باركة. وقال قتادة: ذكر الله ارتفاع سرر الجنّة وفرشها فقالوا: كيف نصعدها؟ فأنزل الله هذه الآية. وسئل الحسن عن هذه الآية، وقيل له: الفيل أعظم في الأعجوبة، فقال: أما الفيل فالعرب بعيدة العهد بها، ثم هو خنزير لا يركب ظهرها ولا يؤكل لحمها ولا يحلب درّها، والإبل من أعزّ مال العرب وأنفسها، تأكل النوى والقتّ وتخرج اللبن، وهو مع عظمها تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، حتى أن الصبيّ الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء. وكان شريح القاضي

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/٤٤٨).

يقول: اخرجوا بنا إلى الكناسة حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت.

وقوله تعالى: ﴿وإلى السماء كيف رفعت﴾: أي عن الأرض حتى لا ينالها شيء يغيّرها، كما قال تعالى ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّنّاها وما لها من فروج﴾[١]؟ وعن قتادة ﴿وإلى الجبال كيف نصبت﴾ تصاعد إلى الجبل الصخر عامة يومك فإذا أفضيت إلى أعلاه أفضيت إلى عيون متفجّرة وثمار متهدّلة ثم لم تحرثه الأيدي ولم تعمله نعمة من الله وبلغة إلى أجل ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾: أي بسطت يقول: أليس الذي خلق هذا يقادر على أن يخلق ما أراد في الجنّة؟

﴿فذكّر إنما أنت مذكّر لست عليهم بمسيطر إلاَّ من تولّى وكفر فيعذّبه الله العذاب الأكبر﴾ **قال ابن كثير**[٢]: أي فذكّر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب؛ ولهذا قال ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ قال ابن عباس يقول: لست عليهم بجبّار. وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاَّ الله، فإذا قالوا: لا إله إلاَّ الله، عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقّها، وحسابهم على الله. ثم قرأ ﴿إنما أنت مذكّر لست عليهم بمسيطر﴾»[٣]. رواه ابن جرير وغيره.

وعن مجاهد قوله ﴿إلاَّ من تولّى وكفر﴾ قال: حسابه على الله ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ **قال ابن جرير**[٤]: وهو عذاب جهنّم. وعن قتادة ﴿إنّ إلينا إيابهم ثم إنّ علينا حسابهم﴾ يقول: إن إلى الله الإياب وعليه الحساب.

• • •

(١) سورة ق: الآية ٦.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٠٤).

(٣) هو في مسلم (ح/ ٢١).

(٤) انظر «جامع البيان» (٣٠/ ١٦٧).

الدرس الرابع بعد الثلاثمائة

﴿سورة الفجر﴾

مكية، وهي ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ
قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ
مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ
طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ
رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ
أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا
تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ
ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ ۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا
دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ
ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ
أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً
مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ .

قوله عز وجل ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾.

وعن عبد الله بن الزبير أنه قال ﴿والفجر﴾ قسم أقسم الله به. وقال عكرمة: الفجر فجر الصبح. ﴿وليالٍ عشر﴾ قال ابن عباس: هنّ الليالي الأول من ذي الحجّة. قال مسروق: هي أفضل أيام السنة. وعن مجاهد ﴿والشفع والوتر﴾ قال: كلّ خلق الله شفع: السماء والأرض، والبرّ والبحر، والجنّ والإنس، والشمس والقمر، والله الوتر وحده. وعن قتادة قوله ﴿والشفع والوتر﴾ إن من الصلاة شفعاً، وإن منها وتراً. وعن ابن عباس ﴿والليل إذا يسر﴾ يقول: إذا ذهب. ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ قال: لذي عقل، لذي نهى.

قال ابن جرير[1]: وقوله ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾، يقول تعالى ذكره: هل فيما أقسمت به من هذه الأمور مقنع لذي حجر؟ وإنما عنى بذلك أن في هذا القرآن مكتفى لمن عقل عن ربه بما هو أغلظ منه في الأقسام. **وقال ابن كثير**[2]: وقوله تعالى ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾: أي لذي عقل ولبّ ودين وحجى، وإنما سمّي العقل حجراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من

(١) انظر «جامع البيان» (٣٠/ ١٧٣).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٠٧).

الأفعال والأقوال. انتهى. قال بعض الحكماء: العقل للقلب بمنزلة الروح للجسد.

وعن قتادة قوله ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد﴾ قال: كنا نحدّث أن إرم قبيلة من عاد مملكة عاد. وقال ابن إسحاق: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح. وعن قتادة قوله ﴿ذات العماد﴾ قال: كانوا أهل عمود لا يقيمون، سيارة. وقال الكلبيّ: وكانوا أهل عَمدٍ وخيام، وماشية سيارة في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا أهل جنان وزرع.

وعن قتادة قوله ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ ذكر أنهم كانوا اثنتي عشرة ذراعاً طولاً في السماء. **وقال البغوي**[1]: أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوّة، وهم الذين قالوا ﴿من أشدّ منا قوة﴾؟ وعن ابن عباس ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ يعني: ثمود قوم صالح كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً، وقال قتادة: نقبوا الصخر. وعن مجاهد قوله ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ قال: كان يوتد الناس بالأوتاد، ﴿الذين طغوا في البلاد﴾ **قال البغوي**[2]: يعني عاداً وثمود وفرعون عملوا في الأرض بالمعاصي وتجبّروا ﴿فأكثروا فيها الفساد فصبّ عليهم ربك سوط عذاب﴾ قال مجاهد: ما عذّبوا به. ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ قال ابن عباس يقول: يرى ويسمع.

قوله عز وجل ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٥١).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤٥٢).

عن قتادة قوله ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربّي أكرمن﴾ وحقّ له ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربّي أهانن﴾ ما أسرع كفر بني آدم! يقول الله جلّ ثناؤه ﴿كلاّ﴾ إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا، ولا أهين من أهنت بقلّتها، ولكن إنما أكرم من أكرمت بطاعتي، وأهين من أهنت بمعصيتي.

﴿بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضّون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلاً لمّاً﴾ قال: الميراث ﴿أكلاً لمّاً﴾: أي شديداً. وقال بكر بن عبد الله: اللمّ الاعتداء في الميراث، يأكل ميراثه وميراث غيره. ﴿وتحبّون المال حبّاً جمّاً﴾ قال قتادة: أي حبّاً شديداً.

قوله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

قال ابن كثير[1]: يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة، فقال تعالى ﴿كلاّ﴾: أي حقاً ﴿إذا دكّت الأرض دكّاً دكّاً﴾ **قال ابن جرير**[2]: يعني إذا رجّت وزلزلت وحرّكت تحريكاً بعد تحريك، ﴿وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً﴾ يقول تعالى ذكره: وإذ جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفاً صفّاً بعد صفّ. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدّ الأديم، وزيد في سعتها كذا وكذا، وجمع الخلائق بصعيد واحد جنّهم وإنسهم، فإذا كان ذلك اليوم قيّضت هذه السماء الدنيا عن أهلها على وجه الأرض، ولأهل السماء وحدهم أكثر

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥١٠).

(٢) انظر «جامع البيان» (٣٠/ ١٨٥).

من أهل الأرض جنَّهم وإنسهم بضعف، فإذا نثروا على وجه الأرض فزعوا منهم فيقولون: أفيكم ربنا؟ فيفزعون من قولهم ويقولون: سبحان ربنا، ليس فينا وهو آت؛ ثم تقاض السماء الثانية، ولأهل السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع أهل الأرض بضعف جنَّهم وإنسهم.

فإذا نثروا على وجه الأرض فزع إليهم أهل الأرض فيقولون: أفيكم ربنا؟ فيفزعون من قولهم ويقولون: سبحان ربنا، ليس فينا وهو آت، ثم تقاض السموات سماء سماء، كلما قيّضت سماء عن أهلها كانت أكثر من أهل السموات التي تحتها ومن جميع أهل الأرض بضعف، فإذا نثروا على وجه الأرض فزع إليهم أهل الأرض فيقولون لهم مثل ذلك، ويرجعون إليهم مثل ذلك حتى تقاض السماء السابعة، فلأهل السماء السابعة أكثر من أهل ستّ سموات ومن جميع أهل الأرض بضعف، فيجيء الله فيهم والأمم جثيّ صفوف، وينادي مناد: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الحمّادون لله على كلّ حال.

قال: فيقومون فيسرحون إلى الجنّة؛ ثم ينادي الثانية: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون؟ فيسرحون إلى الجنّة؛ ثم ينادي الثالثة: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار؟ فيقومون فيسرحون إلى الجنّة.

فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة، خرج عنق من النار فأشرف على الخلائق له عينان تبصران ولسان فصيح فيقول: إني وكّلت منكم بثلاثة: بكلّ جبار عنيد فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حبّ السمسم فتحبس بهم في جهنّم ثم يخرج ثانية فيقول: إني وكّلت منكم بمن آذى الله ورسوله فيلتقطهم لقط الطير حبّ السمسم فيحبس بهم في جهنّم، ثم يخرج ثالثة؛ قال عوف: قال أبو المنهال: حسبت أنه يقول: وكّلت

بأصحاب التصاوير فيلتقطهم من الصفوف لقط الطير حبّ السمسم فيحبس بهم في جهنّم، فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة ومن هؤلاء ثلاثة نشرت الصحف ووضعت الموازين ودعي الخلائق للحساب»[١]. رواه ابن جرير.

وقال الضحاك ابن مزاحم: إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا بأهلها ونزل من فيها من الملائكة وأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثمن السادسة ثم السابعة، فصفّوا صفّاً دون صفّ، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنّم، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلاَّ وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قول الله ﴿إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولّون مدبرين ما لكم من الله من عاصم﴾[٢]، وذلك قوله ﴿وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً وجيء يومئذ بجهنّم﴾. وعن ابن مسعود في قوله ﴿وجيء يومئذ بجهنّم﴾ قال: «جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يقودونها»[٣].

﴿يومئذ يتذكّر الإنسان وأنّي له الذكرى﴾ قال ابن عباس يقول: وكيف له؟ وعن الحسن في قوله ﴿يومئذ يتذكّر الإنسان وأنّى له الذكرى يقول يا ليتني قدّمت لحياتي﴾ قال: علم الله أنه صادق، هناك حياة طويلة لا موت فيها آخر ما عليه؛ ﴿فيومئذ لا يعذّب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد﴾ قال: قد علم الله أن في الدنيا عذاباً ووثاقاً فقال: ﴿فيومئذ لا يعذّب عذابه أحد﴾ في الدنيا ﴿ولا يوثق وثاقه أحد﴾ في الدنيا.

وعن قتادة قوله ﴿يا أيتها النفس المطمئنّة﴾ هو المؤمن اطمأنّت نفسه إلى ما وعد الله ارجعي إلى ربك راضية مرضيّة﴾ قال ابن جرير: حدّثنا أبو كريب قال:

---

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ١٨٥ ــ ١٨٦) بسند حسن.

(٢) سورة غافر: الآية ٣٢.

(٣) أخرجه مسلم (ح/ ٢٨٤٢).

حدّثنا ابن يمان عن أسامة بن زيد عن أبيه قال: «بشّرت بالجنّة عند الموت، ويوم الجمع، وعند البعث»[1]. وعن قتادة قوله ﴿فادخلي في عبادي﴾ قال: ادخلي في عبادي الصالحين ﴿وداخلي جنّتي﴾.

• • •

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ١٩١) بسند ضعيف.

﴿سورة البلد﴾

مكية، وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠﴾.

* * *

قوله عز وجل ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾.

عن ابن عباس في قوله ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾: يعني مكة ﴿وأنت حلّ بهذا البلد﴾: يعني بذلك نبيّ الله ﷺ، أحلّ الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء ويستحي من شاء، وقال في جامع البيان: قيل معناه: أقسم بمكة حين حلولك

فيها، فيكون تعظيماً للمقسَم به. قال ابن القيّم[١]: (وعلى كلّ حال فهي جملة اعتراض في أثناء القسم، موقعها من أحسن موقع وألطفه، فهذا القسم متضمّن لتعظيم نبيّه ورسوله). ﴿ووالد وما ولد﴾ قال مجاهد: الوالد آدم ﴿وما ولد﴾ ولده.

﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ قال ابن عباس يقول: في نَصَب؛ وقال قتادة: لا يُلقى ابن آدم إلاَّ مكابد أمر الدنيا والآخرة. وعن ابن عباس قال: يعني حمله وولادته، ورضاعه وفصاله، ونبت أسنانه وحياته ومعاشه، كلّ ذلك شدّة؛ قال ابن القيّم[٢]: (ولا راحة له إلاَّ في الجنّة. ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ قال قتادة: ابن آدم يظنّ أن لن يُسأل عن هذا المال: من أين اكتسبه؟ وأين أنفقه؟ ﴿يقول أهلكت مالاً لبداً﴾: أي كثيراً. ﴿أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين﴾؟ قال: نِعَمٌ من الله متظاهرة يقرّرك بها كيما تشكره ﴿وهديناه النجدين﴾ قال مجاهد: سبيل الخير والشرّ.

قوله عز وجل ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾.

عن قتادة قوله: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ إنها قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله ﴿وما أدراك ما العقبة فكّ رقبة﴾ ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ سئل عن الرقاب أيّها أعظم أجراً؟ قال: «أكثرها ثمناً»[٣]. قال قتادة: ثم أخبر عن اقتحامها فقال ﴿فكّ رقبة

---

(١) انظر «التبيان في أقسام القرآن» (ص ٤٨).

(٢) المصدر السابق (ص ٤٦).

(٣) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٢٠٢)، وروي مسنداً من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أخرجه البخاري (ح/ ٢٥١٨)، ومسلم (ح/ ٨٤).

أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾ يقول: يوم يشتهى فيه الطعام؛ وقال ابن عباس ﴿في يوم ذي مسغبة﴾ قال: ذي مجاعة. ﴿يتيماً ذا مقربة﴾ قال ابن زيد: ذا قرابة ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ قال ابن عباس: الذي ليس له شيء يقيه من التراب.

﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر﴾ على أمر الله ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ لعباد الله: أي ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة، مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله. ﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾: أي أصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم إلى الجنّة. ﴿والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة﴾: أي يؤخذ بهم ذات الشمال ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ قال قتادة: أي مطبقة أطبقها الله عليهم، فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد.

• • •

الدرس الخامس بعد الثلاثمائة

﴿سورة الشمس﴾

مكية، وهي خمس[1] عشر آية

في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هلاّ صلّيت بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾؟» يعني في العشاء الآخرة»[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا ۝١٥﴾.

* * *

(١) في (الأصل): «خمسة»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

(٢) أخرجه البخاري (ح/ ٧٠٥)، ومسلم (١/ ٣٤٠) من حديث جابر رضي الله عنه.

قوله عز وجل ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾.

عن قتادة ﴿والشمس وضحاها﴾ قال: هذا النهار ﴿والقمر إذا تلاها﴾ يتلوها صبيحة الهلال، فإذا سقطت الشمس رؤي الهلال، ﴿والنهار إذا جلّاها﴾ قال: إذا غشيها النهار. قال البغوي[1]: يعني إذا جلّى الظلمة، كناية عن غير مذكور. ﴿والليل إذا يغشاها﴾ قال قتادة: إذا غشّاها الليل. ﴿والسماء وما بناها﴾ وبناؤها خلقها. وعن مجاهد ﴿والسماء وما بناها﴾ قال: الله بنى السماء. ﴿والأرض وما طحاها﴾ قال: دحاها؛ وقال ابن زيد: بسطها. ﴿ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها﴾ قال مجاهد: عرّفها؛ وقال ابن عباس: علّمها الطاعة والمعصية.

﴿قد أفلح من زكّاها﴾ يقول: قد أفلح من زكّى الله نفسه؛ ﴿وقد خاب من دسّاها﴾ يقول: وقد خاب من دسّى الله نفسه فأضلّه. وقال قتادة: من عمل خيراً زكّاها بطاعة الله؛ قال: قد وقع القسم ههنا ﴿قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها﴾. وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: « ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ قال: اللهمّ آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها»[2]. وقال قتادة ﴿قد أفلح﴾ من زكّى نفسه بعمل صالح ﴿وقد خاب من

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/٤٥٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما عزاه له ابن كثير في تفسيره (٤/٥١٦) بسند ضعيف، وابن مردويه =

دساها﴾ قال: آثمها وأفجرها؛ وقال الحسن: أهلكها وأضلّها وحملها على المعصية.

قال ابن القيّم[1]: «وهذا يستلزم القول الأول، فإن العبد إذا زكّى نفسه ودسّاها، فإنما يزكّيها بعد تزكية الله لها بتوفيقه وإعانته، وإنما يدسّيها بعد تدسية الله لها بخذلانه والتخلية بينه وبين نفسه، فتضمّنت الآيتان الردّ على القدرية والجبرية». انتهى ملخصاً.

قوله عز وجل ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾.

قال ابن زيد في قوله ﴿كذّبت ثمود بطغواها﴾ قال: بطغيانهم وبمعصيتهم. ﴿إذا انبعث أشقاها﴾ قدار بن سالف، قال النبيّ ﷺ: «أنبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة»[2]. رواه ابن جرير وغيره. وعن قتادة في قوله ﴿إذ انبعث أشقاها﴾: يعني أحيمر ثمود. ﴿فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها﴾ قسم الله الذي قسم لها من هذا الماء ﴿فكذّبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها﴾: أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء.

﴿ولا يخاف عقباها﴾ قال الحسن: لا يخاف الله من أحد تبعة في إهلاكهم. وعن أبي الطفيل قال: «قالت ثمود لصالح: ائتنا بآية إن كنت من الصادقين، فقال لهم صالح: اخرجوا إلى هضبة من الأرض، فخرجوا فإذا هي تمتخض كما

= كما عزاه له السيوطي في «الدرر المنثور» (٦/ ٦٠٠) وله شاهد من حديث زيد بن أرقم أخرجه مسلم (ح/ ٢٧٢٢) بنحوه وليس ف سياقه قراءة النبي ﷺ لهذه الآية.

(١) انظر «التبيان في أقسام القرآن» (ص ٣٧).

(٢) هو في البخاري (ح/ ٤٩٤٢ و ٣٣٧٧)، ومسلم (ح/ ٢٨٥٥).

تمتخض الحامل، ثم إنها انفرجت فخرجت من وسطها الناقة، فقال صالح ﴿هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾[١] ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾[٢] فلما ملّوها عقروها؛ فقال لهم ﴿تمتّعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾[٣].

وعن جابر قال: لما مرّ رسول الله ﷺ بالحجر قال: «لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح فكانت ــ يعني الناقة ــ ترد من هذا الفجّ وتصدر من هذا الفجّ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله من تحت أديم السماء منهم، إلاَّ رجلاً واحداً كان في حرم الله»، فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه»[٤]. رواه أحمد. وعن قتادة: «أن صالحاً قال لهم حين عقروا الناقة: تمتّعوا ثلاثة أيام؛ قال لهم: آية هلاككم أن تصبح وجوهكم مصفرّة، ثم تصبح اليوم الثاني محمّرة، ثم تصبح اليوم الثالث مسودّة، فأصبحت كذلك».

قال ابن كثير[٥]: وأصبح ثمود يوم الخميس، وهو اليوم الأول من أيام النظرة، ووجوهم مصفرّة كما وعدهم صالح عليه السلام، وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمّرة، وأصبحوا في اليوم الثالث من

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٧٢.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٥٥.

(٣) سورة هود: الآية ٦٥.

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩٦)، وابن جرير (٨/ ٢٣٠)، والحاكم (٢/ ٣٢١)، وصححه، ووافقه الذهبي وقال: «على شرط البخاري ومسلم»! قلت: وهو من طريق أبي الزبير عن جابر، وأبو الزبير إنما احتج به مسلم فقط.

(٥) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥١٧).

أيام المتاع وهو يوم السبت ووجوههم مسودّة، فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنّطوا، وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه ــ عياذاً بالله من ذلك ــ لا يدرون ماذا يُفعل بهم، ولا كيف يأتيهم العذاب، وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة، فأصبحوا في دارهم جاثمين.

• • •

﴿سورة الليل﴾

مكية، وهي إحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١ ﴾ .

* * *

قوله عز وجل ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ ﴾ .

عن قتادة قوله ﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى﴾ قال: آيتان عظيمتان يكوّرهما الله على الخلائق. ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ قال في بعض الحروف: والذكر والأنثى. وعن الحسن أنه كان يقرؤها: وما خلق الذكر والأنثى، يقول:

والذي خلق الذكر والأنثى. قال أبو عمرو: وأهل مكة يقولون للربّ: سبحان ما سبّحت له.

وعن قتادة قوله ﴿إن سعيكم لشتّى﴾ يقول: لمختلف؛ قال وقع القسم هٰهنا ﴿إن سعيكم لشتّى فأما من أعطى﴾ حقّ الله واتقى محارم الله التي نهى عنها ﴿وصدّق بالحسنى﴾: أي بالمجازاة على ذلك. وقال ابن عباس ﴿وصدّق﴾ بالخلف من الله. وقال مجاهد: بالجنّة. ﴿فسنيسّره لليسرى﴾ قال ابن عباس: يعني للخير. **قال ابن القيّم**[1]: (فسّرت الحسنى بلا إله إلاَّ الله، وبالجنّة، وبالخلف، وهي ترجع إلى أفضل الأعمال وأفضل الجزاء، فرجع التصديق بالحسنى إلى التصديق بالإيمان وجزائه). انتهى ملخصاً.

﴿وأما من بخل واستغنى﴾: أي بخل بماله، واستغنى عن ربه عز وجل ﴿وكذّب بالحسنى﴾: أي بالجزاء في الدار الآخرة ﴿فسنيسّره للعسرى﴾: أي لطريق الشرّ ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردّى﴾ قال قتادة: إذا تردّى في النار. وعن علي بن أبـي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة في بقيع الغرقد، فأتى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: «ما منكم من واحد، وما من نفس منفوسة، إلاَّ كتب مكانها من الجنّة والنّار ــ أو ــ إلاَّ قد كتبت شقية أو سعيدة». فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتّكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء. فقال: «أما أهل السعادة فييسّرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فييسّرون إلى عمل أهل الشقاء ــ ثم قرأ ــ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى﴾»[2]. رواه الجماعة. وفي

---

(١) انظر «التبيان في أقسام القرآن» (ص ٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (ح/ ٤٩٤٨)، ومسلم (ح/ ٢٦٤٧).

رواية: «اعملوا فكلّ ميسر لما خلق له»[١].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

عن قتادة قوله ﴿إن علينا للهدى﴾ يقول: على الله البيان: بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته. ﴿وإن لنا للآخرة والأولى فأنذرتكم ناراً تلظّى﴾ قال مجاهد: توهّج ﴿لا يصلاها إلاَّ الأشقى الذي كذّب وتولّى﴾ **قال ابن كثير**[٢]: أي لا يدخلها دخولاً يحيط به من جميع جوانبه ﴿إلاَّ الأشقى﴾ ثم فسّره فقال ﴿الذي كذّب﴾: أي بقلبه ﴿وتولّى﴾: أي عن العمل بجوارحه وأركانه؛ ﴿وسيجنّبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكّى﴾ **قال البغوي**[٣]: يطلب أن يكون عند الله زاكياً لا رياء ولا سمعة.

﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ يد يكافئه عليها ﴿إلاَّ ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى﴾ بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنّة والكرامة جزاء على ما فعل. قال ابن إسحاق: «كان بلال لبعض بني جمح، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أميّة بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد. قال: فمرّ به أبو بكر يوماً وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر في بني جمح، فقال لأميّة: ألا تتّقِ الله تعالى في هذا المسكين؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه مما

---

(١) أخرجه البخاري (ح/٤٩٤٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٠).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٢٠).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٦٣).

ترى. قال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك أعطيكه. قال: قد فعلت. فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذه فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر ستّ رقاب، بلال سابعهم، فقال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر لبلال إلاَّ ليدٍ كانت لبلال عنده، فأنزل الله ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزي إلاَّ ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى﴾[1].

• • •

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٨٤) من طريقه ابن إسحاق عن عروة مرسلاً: ولم يرد في سياقه ذكر سبب نزول هذه الآية، وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٩٢ ــ ٣٩٣)، قال ابن كثير ــ رحمه الله ــ في تفسيره (٤/ ٥٢١): «وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها.». اهـ.